نبذة مصباح الأنوار

شرح

تيسير الخَلّاق

في علم الأخلاق

تأليف الشيخ حافظ حسن المسعوديّ من علماء الأزهر

طبع على نفقة

لجنة التأليف والنشر البرّ فاندأن فاسروان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

الْحَمْدُ لِلّٰهِ الْكَرِيْمِ[١] الْخَلَّاقِ[٢]، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ[٣] عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْمَبْعُوْثِ لِتَتْمِيْمِ مَكارِمِ الْأَخْلَاقِ[٤] وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحابِهِ ما جَرَى قَلَمُ التَّلْخِيْصِ وَالْبَيَانِ[٥] عَلَى صَفَحاتِ الأَوْرَاقِ (أَمَّا بَعْدُ) فَهٰذَا مُخْتَصَرٌ فِي عِلْمِ الْأَخْلَاقِ الدِّيْنِيَّةِ وَضَعْتُهُ لِطُلَّابِ السَّنَةِ الْأُوْلَى الْأَزْهَرِيَّةِ، وَسَمَّيْتُهُ "تَيْسِيْرَ الْخَلَّاقِ فِي عِلْمِ الْأَخْلَاقِ".

---

[١] الكريم هو الجواد المعطي الذي لا ينفد عطاؤه وهو الكريم المطلق

[٢] الخلاق أي المبدع بدون مثال والصانع والمبتكر

[٣] والصلاة من الله تعالى : الرحمة ، ومن الملائكة : الاستغفار ، ومن الآدميين : الدعاء (والسلام) هو الدعاء بسلامة بدنه ﷺ في حال حياته ، وسلامة دينه ، وسلامة بدنه في قبره ، وسلامته يوم القيامة

[٤] قال ﷺ : ﴿إنّما بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكارِمَ الأخْلاق﴾

[٥] تلخيص الكلام هو تنقيحه أي الإتيان به خالصا من الحشو والتطويل ، والبيان هو الكلام الفصيح المعرب عما في الضمير

فَقُلْتُ وَبِاللهِ الْعِصْمَةُ وَبِيَدِهِ إِتْمَامُ النِّعْمَةِ : عِلْمُ الْأَخْلَاقِ عِبَارَةٌ عَنِ قَوَاعِدَ يُعْرَفُ بِهَا صَلَاحُ الْقَلْبِ وَسَائِرِ الْجَوَاسِّ. وَمَوْضُوْعُهُ الْأَخْلَاقُ مِنْ حَيْثُ التَّحَلِّيْ بِمَحَاسِنِهَا والتَّخَلِّيْ عَنْ قَبَائِحِهَا[١]. وَثَمْرَتُهُ صَلَاحُ الْقَلْبِ وَسَائِرِ الحَواسِّ فِيْ الدُّنْيَا وَالْفَوْزُ بِأَعْلَى الْمَرَاتِبِ فِي الْآخِرَةِ.

التَّقْوَى

هي امْتِثالُ أَوامِرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَاجْتِنابُ نَواهِيْهِ سِرًّا وَعَلانِيَةً ، فَلا تَتِمُّ إِلَّا بِالتَّخَلِّيْ عَنْ كُلِّ رَذِيْلةٍ وَالتَّحَلِّيْ بِكُلِّ فَضِيْلةٍ فَهِيَ الطَّرِيْقُ الَّذِيْ مَنْ سَلَكَهُ اهْتَدَى وَالْعُرْوَةُ الْوُثْقَى الَّتِيْ مَنْ اسْتَمْسَكَ بِها نَجَا.

---

[١] التخلية والتحلية هي من أهم مبادئ أهل السلوك الصوفية فالتخلية هي تطهير النفس من أمراضها وأخلاقها الرذيلة كالشرك والرياء والعجب والبخل وغير ذلك ، والتحلية هي ملؤها بالأخلاق الفاضلة وإحلالها محل الأخلاق الرذيلة بعد أن خليت منه كالتوحيد والإخلاص والصبر والتوكل وغير ذلك

وَأَسْبابُها كَثِيْرَةٌ :

مِنْها : أَنْ يُلاحِظَ الْإِنْسانُ أَنّهُ عَبْدٌ ذَلِيْلٌ ، وَأَنَّ رَبَّهُ قَوِيٌّ عَزِيْزٌ[١].

وَلا يَنْبَغِيْ لِلذَّلِيْلِ أَنْ يَعْصِيَ الْعَزِيْزَ لِأَنَّ ناصِيَتَهُ[٢] بِيَدِهِ.

وَمِنْها : أَنْ يَتَذَكَّرَ إِحْسانَ اللهِ إِلَيْهِ فِيْ جَمِيْعِ الْأَحْوَالِ ، وَمَنْ كانَ كَذٰلِكَ لا يَنْبَغِيْ أَنْ تُجْحَدَ نِعْمَتُهُ.

وَمِنْها : أَنْ يَتَذَكَّرَ الْمَوْتَ[٣] لِأَنَّ مَنْ عَلِمَ أَنَّهُ سَيَمُوْتُ وَأَنَّهُ لَيْسَ أَمامَهُ إِلَّا الْجَنَّةُ أَوِ النَّارُ بَعَثَهُ ذٰلِكَ إِلَى الْأَعْمالِ الصَّالِحَةِ حَسْبَ الْاسْتِطَاعَةِ. وَمِنَ الْأَعْمالِ الصَّالِحَةِ مُسَاعَدَةُ الْمُسْلِمِيْنَ وَالنَّظَرُ إِلَيْهِمْ بِعَيْنِ الْعَطْفِ وَالرَّحْمَةِ خُصُوْصًا إِذَا سَبَقَ مِنْهُمْ إِحْسَانٌ إِلَيْهِ.

---

[١] أي الغالب على أمره

[٢] الناصية في الأصل مقدّم الرأس وأريد هنا الشخص بتمامه

[٣] وفي الحديث : ﴿أكثروا ذكر هاذم اللذات﴾

وَأَمَّا ثَمْرَتُهَا فَسَعَادَةُ الدَّارَيْنِ ، أَمَّا فِي الدُّنْيَا : فَارْتِفَاعُ الْقَدْرِ ، وجَمَالُ الصِّيْتِ وَالذِّكْرِ ، وَاكْتِسَابُ الْمَوَدَّةِ مِنَ النَّاسِ ، لِأَنَّ صَاحِبَ التَّقْوَى يُعَظِّمُهُ الْأَصَاغِرُ وَيَهابُهُ الْأَكَابِرُ ، وَيَرَاهُ كُلُّ عَاقِلٍ أَنَّهُ الْأَوْلَى بالْبِرِّ[1] وَالإِحْسانِ. وَأَمَّا فِي الآخِرَةِ : فَالنَّجاةُ مِنَ النَّارِ ، وَالْفَوْزُ بِدُخُوْلِ الْجَنَّةِ. وَكَفَى الْمُتَّقِيْنَ شَرَفًا أَنَّ اللهَ يَقُوْلُ فِيْهِمْ : ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِيْنَ اتَّقَوْا وَالَّذِيْنَ هُمْ مُحْسِنُوْنَ﴾ (النحل : ١٢٨).

آدَابُ الْمُعَلِّمِ

الْمُعَلِّمُ دَلِيْلُ التِّلْمِيْذِ إِلَى ما يَكُوْنُ بِهِ كَمَالُهُ مِنَ الْعُلُوْمِ وَالْمَعَارِفِ فَيُشْتَرَطُ أَنْ يَكُوْنَ مِنْ ذَوِيْ الْأَوْصَافِ الْمَحْمُوْدَةِ لِأَنَّ رُوْحَ التِّلْمِيْذِ ضَعِيْفَةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى رُوْحِهِ ، فَإِذَا اتَّصَفَ الْمُعَلِّمُ بِأَوْصَافِ الْكَمَالِ كانَ التِّلْمِيْذُ الْمُوَفَّقُ كَذٰلِكَ.

---

[1] معنى البرّ لغة الصدق والطاعة والخير والفضل ، واصطلاحا التوسّع في فعل الخير والفعل المرضيّ ، يقال : "بَرَّ العبدُ رَبَّهُ" أي توسّعَ في طاعته ، و "بَرَّ الولدُ والدَه" أي توسّع في الإحسان إليه وتحرّي محابّه وتوقّي مَكارهه والرِفقِ به ، وضده العقوق

فَإِذَنْ لَا بُدَّ أَنْ يَكُوْنَ تَقِيًّا مُتَوَاضِعًا لَيِّنَ الْجَانِبِ لِتَمِيْلَ الْقُلُوْبُ إِلَيْهِ فَتَسْتَفِيْدَ مِنْهُ ، وَأَنْ يَكُوْنَ حَلِيْمًا[١] وَقُوْرًا[٢] لِيُقْتَدَى بِهِ ، وَأَنْ يَكُوْنَ ذَا رَحْمَةٍ لِلتَّلَامِيْذِ شَفِيْقًا عَلَيْهِمْ لِتَعْظُمَ رَغْبَتُهُمْ فِيْمَا يُلْقِيْهِ إِلَيْهِمْ ، وَأَنْ يَنْصَحَهُمْ وَيُؤَدِّبَهُمْ فَيُحْسِنَ تَأْدِيْبَهُمْ[٣] ، وَأَنْ لَا يُكَلِّفَهُمْ مِنَ الْمَعَانِيْ مَا تَقْصُرُ عَنْهُ إِدْرَاكَاتُهُمْ[٤].

آدَابُ الْمُتَعَلِّمِ

لِلْمُتَعَلِّمِ آدَابٌ فِي نَفْسِهِ وَآدَابٌ مَعَ أُسْتَاذِهِ وَآدَابٌ مَعَ إِخْوانِهِ.

---

[١] قال سيدنا علي كرم الله وجهه : ﴿الحلم سيد الأخلاق﴾

[٢] الوقار اصطلاحا هو سكون النفس وثباتها عند الحركات التي تكون في المطالب ، وقيل هو التأنّي في التوجّه نحوَ المطالب ، وقيل هو الإمساك عن فضول الكلام والعبثِ وكثرةِ الإشارة والحركة فيما يُستغنى عن التحرك فيه وقلةُ الغضب والإصغاءُ عند الاستفهام والتوقفُ عن الجواب والتحفّظُ من التسرّع

[٣] قال رسول الله ﷺ : ﴿إنّ الله أدَّبَني فأحسنَ تأديبي ثم أمرني بمكارم الأخلاق فقال خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِيْنَ﴾

[٤] أي فهمُهم وتصوّرُهم

أَمَّا آدَابُهُ فِيْ نَفْسِهِ فَكَثِيْرَةٌ ، مِنْهَا : تَرْكُ الْعُجْبِ ، وَمِنْهَا : التَّوَاضُعُ[١] وَالصِّدْقُ لِيَكُوْنَ مَحْبُوْبًا وَمَوْثُوْقًا بِهِ ، وَمِنْهَا : أَنْ يَكُوْنَ وَقُوْرًا فِيْ مِشْيَتِهِ ، غَاضًّا طَرْفَهُ عَنِ النَّظَرِ إِلَى الْمُحَرَّمَاتِ ، وَأَنْ يَكُوْنَ أَمِيْنًا عَلَى مَا أُوْتِيَهُ مِنَ الْعِلْمِ فَلَا يُجِيْبُ بِغَيْرِ مَا يَعْرِفُ.

وَأَمَّا آدَابُهُ مَعَ أُسْتَاذِهِ ، فَمِنْهَا : أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ فَضْلَهُ أَكْبَرُ مِنْ فَضْلِ وَالِدَيْهِ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ يُرَبِّيْ رُوْحَهُ[٢] ، وَمِنْهَا : الْخُضُوْعُ أَمَامَهُ ، وَالْجُلُوْسُ فِيْ دَرْسِهِ بِالْأَدَبِ ، وَحُسْنُ الْإِصْغَاءِ إِلَى مَا يَقُوْلُهُ ، وَمِنْهَا : تَرْكُ المِزَاحِ ،

---

[١] قال الشاعر :

تَواضَعْ تكُنْ كالنَّجْم لاحَ لِناظرِ ⊙ على صَفَحاتِ الماء وهو رفيعُ
ولا تَكُ كالدُّخان يَعْلُوْ بنفسه ⊙ إلى طَبقاتِ الجَوِّ وهو وضيعُ

[٢] بل يذكر الغزالي رحمه تعالى في الإحياء أن حق المعلم أعظم من حق الوالدين لأن الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية ، والمعلم سبب الحياة الباقية فهو معلم علوم الآخرة أو علوم الدنيا على قصد الآخرة

وَأَنْ لَا يَمْدَحَ غَيْرَهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِحَضْرَتِهِ مَخَافَةَ أَنْ يَفْهَمَ أُسْتَاذُهُ أَنَّهُ يَذُمُّهُ ، وَمِنْها : أَنْ لَا يَصُدَّهُ الْحَيَاءُ عَنِ السُّؤَالِ عَمَّا لَا يَعْرِفُ.

وَأَمَّا آدَابُهُ مَعَ إِخْوَانِهِ ، فَمِنْهَا : احْتِرَامُهُمْ ، وَتَرْكُ احْتِقَارِ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ، وَتَرْكُ الْاسْتِعْلَاءِ عَلَيْهِمْ ، وَمِنْهَا : أَنْ لَا يَسْخَرَ بِبَطِيْءِ الْفَهْمِ مِنْهُمْ ، وَأَنْ لَا يَفْرَحَ إِذَا وَبَّخَ الْأُسْتَاذُ بَعْضَ الْقَاصِرِيْنَ فَإِنَّ ذٰلِكَ أَسْبَابُ الْبُغْضِ وَالْعَدَاوَةِ.

حُقُوْقُ الْوَالِدَيْنِ

الْوَالِدَانِ : هُمَا السَّبَبُ فِيْ وُجُوْدِ الْإِنْسَانِ لَوْلَا عَنَاؤُهُمَا مَا اسْتَرَاحَ ، وَلَوْلَا شَقَاؤُهُمَا مَا تَنَعَّمَ. أَمَّا أُمُّهُ : فَحَمَلَتْهُ كُرْهًا ، وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا. وَأَمَّا أَبُوْهُ : فَقَدْ بَذَلَ وُسْعَهُ فِيْمَا يَعُوْدُ إِلَيْهِ بِالنَّفْعِ مِنْ تَرْبِيَةِ جِسْمِهِ وَرُوْحِهِ.

فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَذْكُرَ نِعْمَتَهُمَا لِيَشْكُرَهُمَا عَلَيْهَا ، وَأَنْ يَمْتَثِلَ أَمْرَهُمَا إِلَّا إِذَا كَانَ بِمَعْصِيَةٍ ، وَأَنْ يَجْلِسَ مَعَهُمَا خَاشِعًا غَاضًّا طَرْفَهُ عَنْ زَلَّتِهِمَا ، وَأَنْ لَا يُؤْذِيَهُمَا[١] وَلَوْ بِقَوْلِ أُفٍّ[٢] ، وَأَنْ لَا يُطِيْلَ جِدَالَهُمَا ، وَأَنْ لَا يَمْشِيَ أَمَامَهُمَا إِلَّا فِيْ خِدْمَتِهِمَا ، وَأَنْ يَدْعُوَ لَهُمَا بِالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ ، وَأَنْ يَأْمُرَهُمَا بِالْمَعْرُوْفِ وَيَنْهَاهُمَا عَنِ الْمُنْكَرِ لِيَكُوْنَ سَبَبًا فِيْ نَجَاتِهِمَا مِنَ النَّارِ كَمَا كَانَا سَبَبًا فِيْ وُجُوْدِهِ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوْا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا

---

[١] ومعنى العقوق أن يؤذي والديه أذًى ومع ذلك فإيذاء الوالدين سواء كان أذًى شديدا أو خفيفا فهو حرام. ومن جملة العقوق شتم الأم أو الأب أو ضرب الأم أو الأب أو إهانتهما أو أحدهما ، ومنها أن يطيع الولد أمه على ظلم أبيه أو يطيع الولد أباه على ظلم أمه ولا ينفعه عند الله تعالى إن أطاع أمه وظلم أباه ، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ونُصرة أحد الأبوين في ظلم الآخر حرام والله أعلم

[٢] هو لفظة تقال عند استقذار شيء والتضجّر

فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ ولَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيْمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِيْ صَغِيْرًا﴾ (الإسراء : ٢٣-٢٤)

هٰذَا وَلِيَخُصَّ الْأُمَّ بِزِيَادَةِ الْبِرِّ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : ﴿بِرُّ الْوَالِدَةِ عَلَى الْوالِدِ ضِعْفَانِ[١]﴾.

[١] وقال ﷺ : ﴿الوالدة أسرع إجابة قيل يا رسول الله ولِمَ ذاك قال هي أرحم من الأب ودعوة الرحيم لا تسقط﴾ ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿إني لا أعلم عملا أقرب إلى الله من بر الوالدة﴾

حُقُوْقُ الْقَرَابَةِ

أَقَارِبُ الإِنْسَانِ هُمْ ذَوُوْ رَحِمِهِ[١] ، وَقَدْ أَمَرَ اللهُ بِوَصْلِ الرَّحِمِ[٢] وَنَهَى عَنْ قَطْعِهَا ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ﴿يَقُوْلُ اللهُ تَعَالَى : أَنَا الرَّحْمٰنُ وَهٰذِهِ الرَحِمُ اشْتَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنِ اسْمِيْ فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ[٣]﴾.

---

[١] واختلف العلماء في حدّ الرحم التي يجب وصلها إلى ثلاثة أقوال : القول الأول أن حد الرحم هو الرحم المحرم والقول الثاني أنهم الرحم من ذوي الميراث والقول الثالث أنهم الأقارب من النسب سواء كانوا يرثون أم لا والصحيح من أقوال أهل العلم هو القول الثالث وهو أن الرحم هم الأقارب من النسب لا من الرضاع من جهة الأب والأم. وأما أقارب الزوجة فليسوا أرحاما للزوج ، وأقارب الزوج ليسوا أرحاما للزوجة

[٢] وصلة الرحم تكون بإيصال الخير إليهم بكل ما يمكن من التوادد والتناصح والعدل والإنصاف القيام بالحقوق الواجبة والمستحبة والنفقة على القريب وتفقد أحوالهم والتغافل عن زلاتهم وبالعون على الحاجة وبدفع الضرر وبطلاقة الوجه وبالدعاء. والمعنى الجامع إيصال ما أمكن من الخير ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة.

[٣] في نسخة : قطَعْتُه

فَلِهٰذَا يَنْبَغِيْ لِلْإِنْسَانِ مُرَاعَاةُ حُقُوْقِهِمْ وَالْقِيَامُ بِهَا فَلَا يُؤْذِيْ أَحَدًا مِنْهُمْ بِفِعْلٍ وَلَا قَوْلٍ[١] ، وَأَنْ يَتَوَاضَعَ لَهُمْ ، وَأَنْ يَتَحَمَّلَ أَذَاهُمْ وَلَوْ تَطَاوَلُوْا[٢] عَلَيْهِ ، وَأَنْ يَسْأَلَ عَمَّنْ يَغِيْبُ مِنْهُمْ ، وَأَنْ يُسَاعِدَهُمْ فِيْ الْحُصُوْلِ عَلَى مَآرِبِهِمْ إِذَا قَدَرَ ، وَأَنْ يَمْنَعَ عَنْهُمْ الضَرَرَ مَتَى أَمْكَنَ ، وَإِنْ كَانُوْا غَيْرَ مُحْتَاجِيْنَ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ فَعَلَيْهِ أَنْ يَتَعَهَّدَهُمْ بِالزِّيَارَةِ.

حُقُوْقُ الْجِيْرَانِ

الْجَارُ : مَنْ جَاوَرَتْ دَارُهُ دَارَكَ إِلَى أَرْبَعِيْنَ دَارًا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ. وَلَهُ عَلَيْكَ حُقُوْقٌ ، مِنْهَا : أَنْ تَبْدَأَهُ بِالسَّلَامِ[٣] ، وَأَنْ تَصْنَعَ مَعَهُ الْمَعْرُوْفَ ،

---

[١] في نسخة : أوْ قول

[٢] هذه العبارة أذنب وأولى من "ولا تطاولوا"

[٣] وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ﴿ثلاث يُصْفين لك وُدّ أخيك : أن تسلم عليه إذا لقيته ، وتوسع له في المجلس ، وتدعوه بأحب أسمائه إليه﴾

وأَنْ تُكَافِئَهُ عَلَى مَعْرُوْفِهِ إِذَا بَدَأَكَ بِهِ[١] ، وَأَنْ تُؤَدِّيَ مَا لَهُ عَلَيْكَ مِنَ الْحُقُوْقِ الْمَالِيَّةِ ، وأَنْ تَعُوْدَهُ إِذَا مَرِضَ[٢] ، وَتُهَنِّئَهُ إِذَا فَرِحَ ، وَتُعَزِّيَهُ إِذَا أُصِيْبَ[٣] ، وَأَنْ لَا تَتَعَمَّدَ النَّظَرَ إِلَى نِسَائِهِ وَلَوْ كُنَّ خَدَمًا لَهُ ، وَأَنْ تَسْتُرَ عَوْرَاتِهِ ، وَأَنْ تَرُدَّ عَنْهُ الْمَكْرُوْهَ بِقَدْرِ مَا تَسْتَطِيْعُ ، وَأَنْ تُقَابِلَهُ بِالْبَشَاشَةِ وَالْاحْتِرَامِ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ﴿مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ﴾ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : ﴿مَا زَالَ جِبْرِيْلُ يُوْصِيْنِيْ بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ﴾.

---

[١] ولو بكلمة طيبة

[٢] وإذا عاده يلتزم آداب العيادة فيخفف الزيارة ولا يثقل ويدعو له فيضع يده على موضع الألم يقول : ﴿أَسْأَلُ اللهَ العَظِيْمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيْمِ أَنْ يَشْفِيَكَ﴾

[٣] وقال الأزهري : ﴿أصل التعزية التصبر لمن أصيب بمن يعزى عليه﴾ ، وقال غيره : ﴿التعزية التسلية وهو أن يقال له تعزى بعزاء الله﴾ ، قال النبي ﷺ : ﴿ما من مؤمن يعزّي أخاه بمصيبة إلا كساه الله عز وجل من حلل الكرامة يوم القيامة﴾

آدَابُ الْمُعَاشَرَةِ

آدَابُهَا كَثِيْرَةٌ ، مِنْهَا : طَلَاقَةُ الْوَجْهِ[١] ، وَلِيْنُ الْجَانِبِ[٢] ، وَالْإِصْغَاءُ إِلَى حَدِيْثِ الْعَشِيْرِ ، وَالْوَقَارُ بِلَا كِبْرٍ ، وَالسُّكُوْتُ عِنْدَ الْهَزْلِ ، وَالصَّفْحُ عَنِ الزَّلَلِ ، وَالْمُوَاسَاةُ ، وَتَرْكُ الْافْتِخَارِ بِالْجَاهِ وَالْغِنَى ، فَإِنَّ ذٰلِكَ مُوْجِبٌ لِلسُّقُوْطِ مِنْ أَعْيُنِ النَّاسِ. وَمِنْهَا : كِتْمَانُ السِّرِّ[٣] لِأَنَّهُ لَا قِيْمَةَ لِمَنْ لَا يَكْتُمُ الأَسْرَارَ ، قَالَ الشَّاعِرُ[٤] :

إِذَا مَا الْمَرْءُ لَمْ يَحْفَظْ ثَلَاثًا ⊙ فَبِعْهُ وَلَوْ بِكَفٍّ مِنْ رَمَادِ

وَفَاءً لِلصَّدِيْقِ وَبَذْلَ مَالٍ ⊙ وَكِتْمَانَ السَّرَائِرِ فِيْ الْفُؤَادِ

---

[١] عن أبي ذرّ رضي الله عنه قال : قال لي النّبي ﷺ : ﴿لا تحقرنّ من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجهٍ طَلْقٍ﴾

[٢] أي سهل التعامل والمعاشرة

[٣] وروي عن الرسول ﷺ أنه قال : ﴿من أسرّ إلى أخيه سرّا فلا يحل له أن يفشيه عليه﴾

[٤] سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

الأُلْفَةُ

هِيَ الْاسْتِئْنَاسُ بِالنَّاسِ وَالْفَرَحُ بِلِقَائِهِمْ. وَأَسْبَابُهَا خَمْسَةٌ :

أَوَّلُهَا الدِّيْنُ ، لِأَنَّ كَمَالَ الإِيْمَانِ يُوْجِبُ الْعَطْفَ.

وَثَانِيْهَا النَّسَبُ ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَحْنُوْ عَلَى أَقَارِبِهِ وَيَتَوَدَّدُ إِلَيْهِمْ ، وَيَكُفُّ الْأَذٰى عَنْهُمْ ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ﴿إِنَّ الرَّحِمَ إِذَا تَمَاسَّتْ تَعَاطَفَتْ﴾.

وَثَالِثُهَا الْمُصَاهَرَةُ ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَحَبَّ عِرْسَهُ أَحَبَّ كُلَّ مَنْ يَنْتَمِيْ إِلَيْهَا ، قَالَ خَالِدُ بْنُ يَزِيْدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ : ﴿كَانَ أَبْغَضَ خَلْقِ اللهِ إِلَيَّ آلُ الزُّبَيْرِ حَتَّى تَزَوَّجْتُ مِنْهُمْ فَصَارُوْا أَحَبَّ خَلْقِ اللهِ إِلَيَّ﴾.

وَرَابِعُهَا الْبِرُّ ، وَهُوَ الْإِحْسَانُ إِلَى النَّاسِ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

أَحْسِنْ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعْبِدْ قُلُوْبَهُمُ ⊙ فَطَالَمَا اسْتَعْبَدَ الإِنْسَانَ إِحْسَانُ

وَخَامِسُهَا الْإِخَاءُ ، كَمَا آخَى رَسُوْلُ اللهِ ﷺ بَيْنَ الْمُهَاجِرِيْنَ وَالْأَنْصَارِ لِتَقْوٰى رَابِطَتُهُمْ وَتَزِيْدَ أُلْفَتُهُمْ.

وَأَمَّا فَضْلُ الأُلْفَةِ : فَالْإِفَادَةُ وَالْاسْتِفَادَةُ وَالتَّعَاوُنُ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوٰى ، وَبِذٰلِكَ تَسْتَقِيْمُ الْأَحْوَالُ وَتَعْتَدِلُ الْأُمُوْرُ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿وَاعْتَصِمُوْا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيْعًا وَلَا تَفَرَّقُوْا﴾ (آل عمران : ١٠٣).

الْإِخَاءُ

هُوَ رَابِطَةٌ بَيْنَ الشَّخْصَيْنِ تَحَقَّقُ بَيْنَهُمَا الْمَوَدَّةُ ، فَيُطْلَبُ مِنْ كُلٍّ مِنْهُمَا لِلْآخَرِ الْمُوَاسَاةُ بِالْمَالِ ، وَالإِعَانَةُ بِالنَّفْسِ ، وَالعَفْوُ عَنِ الزَّلَّاتِ ، وَالْإِخْلَاصُ ، وَالْوَفَاءُ ، وَالتَّخْفِيْفُ عَلَيْهِ ، وَتَرْكُ التَّكَلُّفِ لَهُ ، وَالسُّكُوْتُ

عَمَّا يُؤْذِيْ ، وَالتَّكَلُّمُ بِمَا يَرْضَاهُ الشَّرْعُ وَيَقْبَلُهُ الدِّيْنُ فَيَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوْفِ وَيَنْهَاهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَدْعُوْ لَهُ بِحُسْنِ الْحَالِ وَدَوَامِ الْاسْتِقَامَةِ[١].

وَأَمَّا فَضْلُ الإِخَاءِ فَكَبِيْرٌ لِأَنَّهُ يَبْعَثُ عَلَى التَّخَلُّقِ بِمَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ ، وَيُؤَلِّفُ بَيْنَ الْقُلُوْبِ ، وَبِهِ يَكُوْنُ إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ الَّذِيْ جَعَلَهُ اللهُ مِنْ ثَمَرَاتِ التَّقْوَى ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿فَاتَّقُوْا اللهَ وَأَصْلِحُوْا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ (الأنفال : ١).

[١] هي الإقامة على دين الله والدوام على هُدى الله عز وجل والاستمرار في التقيد بقيوده والوقوف عند حدوده والاستجابة لأوامره والانتهاء عن محارمه

آدَابُ الْمَجَالِسِ

عَلَى مَنْ يَأْتِيْ الْمَجَالِسَ أَنْ يَبْدَأَ الْحَاضِرِيْنَ بِالسَّلَامِ ، وَأَنْ يَجْلِسَ حَيْثُ انْتَهٰى بِهِ الْمَجْلِسُ[١] ، وَأَنْ يُعْرِضَ عَنْ أَقْوَالِ الْعَامَّةِ الْخَالِيَةِ عَنِ الْفَائِدَةِ ، وَأَنْ يُغَيِّرَ الْمُنْكَرَ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَلْيَقُمْ مِنَ الْمَجْلِسِ إِنْ لَمْ تَدْعُ إِلَى الْمُقَامِ بِهِ ضَرُوْرَةٌ ، وَأَنْ لَا يَحْتَقِرَ أَحَدًا مِنْ جُلَسَائِهِ ، رُبَّمَا كَانَ خَيْرًا مِنْهُ عِنْدَ اللهِ ، وَأَنْ لَا يُعَظِّمَ أَحَدًا لِمَالِهِ ، لِأَنَّ ذٰلِكَ يُضْعِفُ الدِّيْنَ وَيُسْقِطُ الْمُرُوْءَةَ ، وَإِنْ كَانَ فِي الطَّرِيْقِ فَلْيَغُضَّ طَرْفَهُ وَلْيُغِثِ الْمَلْهُوْفَ وَلْيُعِنِ الضَّعِيْفَ وَلْيُرْشِدِ الضَّالَّ ، وَلْيَرُدَّ السَّلَامَ عَلَى مَنْ بَدَأَهُ بِهِ وَلْيُعْطِ السَّائِلَ ، وَلْيَكُنْ فِيْ جِلْسَتِهِ وَقُوْرًا ، فَإِنَّ ذٰلِكَ أَدْعَى إِلَى تَعْظِيْمِهِ وَالْاعْتِنَاءِ لِشَأْنِهِ.

---

[١] يعني المكان الخالي الذي لم يجلس فيه أحد فقد ورد عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : ﴿كنا إذا أتينا النبي ﷺ جلس أحدنا حيث ينتهي﴾

آدَابُ الْأَكْلِ

أَمَّا الْآدَابُ الَّتِي قَبْلَهُ : فَهِيَ غَسْلُ الْيَدَيْنِ ، وَوَضْعُ الطَّعَامِ عَلَى سُفْرَةٍ بِالْأَرْضِ ، وَالْجُلُوْسُ ، وَنِيَّةُ التَّقَوِّيْ عَلَى الْعِبَادَةِ ، وَتَرْكُ الْأَكْلِ مَعَ الشِّبَعِ[١] ، وَالرِّضَا بِالْحَاضِرِ مِنَ الطَّعَامِ ، وَتَرْكُ ذَمِّهِ[٢] ، وَطَلَبُ مَنْ يَأْكُلُ مَعَهُ[٣].

وَأَمَّا الَّتِيْ مَعَهُ : فَهِيَ الْبَدْءُ بِالتَّسْمِيَةِ جَهْرًا لِيُذَكِّرَ غَيْرَهُ ، وَالْأَكْلُ بِالْيُمْنٰى ، وَتَصْغِيْرُ اللُّقْمَةِ ، وَإِجَادَةُ مَضْغِهَا ، وَتَرْكُ مَدِّ يَدِهِ إِلَى غَيْرِهَا قَبْلَ الْفَرَاغِ مِنْهَا ، وَالْأَكْلُ مِمَّا يَلِيْهِ إِلَّا فِيْ الْفَاكِهَةِ ، وَأَنْ لَا يَنْفُخَ

---

[١] قال تعالى : ﴿وَكُلُوْا وَاشْرَبُوْا وَلَا تُسْرِفُوْا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ﴾ (الأعراف : ٣١)

[٢] عن أبي هريرة قال : ﴿ما عاب النبي ﷺ طعاما قطّ إن اشتهاه أكله وإن كرهه تركه﴾

[٣] كان سيدنا إبراهيم عليه السلام يمشي الميل والميلين في طلب من يأكل معه

فِيْ الطَّعَامِ[١] ، وَأَنْ لَا يَقْطَعَهُ بِالسِّكِّيْنِ[٢] ، وَأَنْ لَا يَمْسَحَ يَدَهُ بِهِ ، وَأَنْ لَا يَجْمَعَ بَيْنَ التَّمْرِ وَالنَّوَى فِيْ إِنَاءٍ ، وَأَنْ لَا يَشْرَبَ الْمَاءَ إِلَّا عِنْدَ الْاحْتِيَاجِ إِلَيْهِ.

وَأَمَّا الَّتِيْ بَعْدَهُ : فَهِيَ الْقِيَامُ قَبْلَ الشِّبَعِ ، وغَسْلُ الْيَدَيْنِ بَعْدَ لَعْقِهِمَا[٣] ، وَالْتِقَاطُ الْفُتَاتِ ، وَحَمْدُ اللهِ[٤].

---

[١] وقال العلامة المناوي رحمه الله : ﴿النفخ في الطعام الحارّ يدلّ على العجَلة الدالّة على الشَّرَه وعدمِ الصبر وقلةِ المروءة﴾

[٢] عن أم سلمة أن النبي ﷺ قال : ﴿لا تقطعوا الخبز بالسكين كما تقطعه الأعاجم ، وإذا أراد أحدكم أن يأكل اللحم فلا يقطعه بالسكين ولكن ليأخذه بيده فليَنْهَشْه بفيه فإنه أهنأ وأمرأ﴾

[٣] عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال : ﴿إذا أكل أحدكم فلا يمسحْ يده حتى يلْعَقَها أَوْ يُلْعِقَها﴾

[٤] عن النبي ﷺ أنه قال : ﴿إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليه ويشرب الشربة فيحمده عليها﴾

آدَابُ الشُّرْبِ

آدَابُهُ كَثِيْرَةٌ ، مِنْهَا : تَنَاوُلُ الْإِنَاءِ بِالْيَمِيْنِ[١] ، وَالنَّظَرُ فِيْهِ قَبْلَ الشُّرْبِ ، وَالتَّسْمِيَةُ ، وَالْجُلُوْسُ[٢] ، وَمَصُّ الْمَاءِ لِأَنَّ عَبَّهُ يَضُرُّ الْكَبِدَ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ﴿مُصُّوْا الْمَاءَ مَصًّا وَلَا تَعُبُّوْهُ عَبًّا﴾.

وَمِنْهَا : الشُّرْبُ فِيْ ثَلَاثَةِ أَنْفَاسٍ ، يُسَمِّيْ فِيْ كُلِّ وَاحِدٍ وَيَحْمَدُ فِيْ آخِرِهِ ، وَلَا يَتَنَفَّسُ فِيْ الْإِنَاءِ وَلَا يَتَجَشَّأُ فِيْهِ. وَإِذَا شَرِبَ وَأَرَادَ أَنْ يَسْقِيَ غَيْرَهُ فَلْيُقَدِّمْ مَنْ عَلَى يَمِيْنِهِ عَلَى مَنْ بِيَسَارِهِ وَلَوْ كَانَ أَفْضَلَ لِأَنَّ النَّبِيَّ

---

[١] وفي حديث عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ﴿إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه وإذا شرب فليشرب بيمينه فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله﴾

[٢] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : ﴿لا يشربنّ أحدكم قائما فمن نسي فليستقي﴾

ﷺ سَقَى أَعْرَابِيًّا كَانَ عَلَى يَمِيْنِهِ قَبْلَ أَبِيْ بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَقَالَ : ﴿الْأَيْمَنَ فَالْأَيْمَنَ﴾.

آدَابُ النَّوْمِ

هِيَ أَنْ يَتَطَهَّرَ مِنَ الْحَدَثِ[1] ، وَأَنْ يَنَامَ عَلَى جَنْبِهِ الْأَيْمَنِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ ، وَأَنْ يَقْصِدَ بِنَوْمِهِ رَاحَةَ بَدَنِهِ لِيَقْوَى عَلَى الْعِبَادَةِ ، وَأَنْ يَذْكُرَ اللهَ تَعَالَى عِنْدَ نَوْمِهِ[2] وَبَعْدَ يَقَظَتِهِ.

---

[1] قال النبي ﷺ : ﴿من بات طاهرا بات في شعاره مَلَكٌ فلا يستيقظ إلا قال الملك اللّٰهُمَّ اغفر لعبدك فلان﴾

[2] بقراءة آية الكرسي وسورة الإخلاص والمعوذتين. عن عائشة رضي الله عنها أن النبي كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما وقرأ : قل هو الله أحد ، وقل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس ثم مسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات

وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ وَضَعَ يَدَهُ تَحْتَ خَدِّهِ ثُمَّ يَقُوْلُ : ﴿اللهُمَّ بِاسْمِكَ أَحْيَا وَأَمُوْتُ﴾ ، وَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ : ﴿الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِيْ أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُوْرُ﴾.

آدَابُ الْمَسَاجِدِ

الْمَسَاجِدُ بُيُوْتُ اللهِ ، وَمَنْ عَلَّقَ[1] قَلْبَهُ بِهَا أَظَلَّهُ اللهُ فِيْ ظِلِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا فِيْ الْحَدِيْثِ ، فَيُطْلَبُ الْمَشْيُ إِلَيْهَا بِاشْتِيَاقٍ مَعَ السَّكِيْنَةِ وَالْوَقَارِ[2] ، وَدُخُوْلُهَا بِالْيُمْنَى مَعَ تَنْظِيْفِ نَعْلَيْهِ خَارِجَهَا ، وَقَوْلُهُ عِنْدَ الدُّخُوْلِ : ﴿اللّٰهُمَّ افْتَحْ لِيْ أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ﴾ ، وَأَدَاءُ تَحِيَّةِ الْمَسْجِدِ ،

---

[1] قال الإمام النووي في شرح مسلم : ﴿ومعناه شديد الحب لها والملازمة للجماعة فيها﴾ اهـ

[2] وقال الإمام النووي : ﴿الظاهر أن بينهما فرقا وأن السكينة التأنّي في الحركات واجتناب العبث والوقار في الهيئة كغض البصر وخفض الصوت وعدم الالتفات﴾

وَالتَّسْلِيْمُ وَلَوْ خَلَا الْمَسْجِدُ مِنَ النَّاسِ[١] لِأَنَّهُ لَا يَخْلُوْ مِنَ الْجِنِّ وَالْمَلَائِكَةِ ، وَالْجُلُوْسُ بِنِيَّةِ التَّقَرُّبِ وَمُرَاقَبَةِ اللهِ تَعَالَى ، وَالْإِكْثَارُ مِنْ ذِكْرِهِ ، وَحَبْسُ النَّفْسِ عَنِ الشَّهَوَاتِ ، وَاجْتِنَابُ الْخُصُوْمَةِ ، وَأَنْ لَا يَنْتَقِلَ مِنْ مَكَانِهِ إِلَّا لِحَاجَةٍ[٢] ، وَأَنْ لَا يُنْشِدَ ضَالَّةً[٣] ، وَأَنْ لَا يَرْفَعَ صَوْتَهُ بِحَضْرَةِ الْمُصَلِّيْنَ ، وَأَنْ لَا يَمُرَّ بَيْنَ أَيْدِيْهِمْ[٤] ، وَأَنْ لَا يَشْتَغِلَ بِصَنْعَةٍ ، وَأَنْ لَا يَخُوْضَ فِيْ كَلَامِ أَهْلِ الدُّنْيَا لِيَسْلَمَ مِنَ الْوَعِيْدِ الْوَارِدِ فِيْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : ﴿يَأْتِيْ فِيْ آخِرِ الزَّمَانِ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِيْ يَأْتُوْنَ الْمَسَاجِدَ يَقْعُدُوْنَ فِيْهَا حَلَقًا

---

[١] ويسن لمن دخل محلا خاليا أن يقول : ﴿السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين﴾

[٢] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ﴿الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه ما لم يحدث اللّٰهُمَّ اغفر له اللّٰهُمَّ ارحمه﴾

[٣] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿من سمع رجلا ينشد ضالة في المسجد فليقل لا ردّها الله عليك فإنّ المساجد لم تُبنَ لهذا﴾

[٤] إذا كانت السترة معتبرة فيحرم المرور ونقل الإمام النووي في مجموعه قولا عن الإمام الغزالي أنه يكره المرور ولا يحرم

حَلَقًا ذِكْرُهُمْ الدُّنْيَا وَحُبُّ الدُّنْيَا لَا تُجَالِسُوْهُمْ فَلَيْسَ لِلّٰهِ بِهِمْ حَاجَةٌ﴾.

فَإِذَا أَرَادَ الْخُرُوْجَ طُلِبَ مِنْهُ الْبَدْءُ بِالْيُسْرَى وَأَنْ يَضَعَهَا عَلَى ظَهْرِ نَعْلِهِ ، ثُمَّ يَلْبَسَ الْيُمْنَى أَوَّلًا ، وَلْيَقُلْ عِنْدَ خُرُوْجِهِ : ﴿اللّٰهُمَّ إِنِّيْ أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ﴾.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ﴿قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى : إِنَّ بُيُوْتِيْ فِيْ أَرْضِيْ الْمَسَاجِدُ ، وَإِنَّ زُوَّارِيْ فِيْهَا عُمَّارُهَا ، فَطُوْبَى لِعَبْدٍ تَطَهَّرَ فِيْ بَيْتِهِ ثُمَّ زَارَنِيْ فِيْ بَيْتِيْ فَحَقٌّ عَلَى الْمَزُوْرِ أَنْ يُكْرِمَ زَائِرَهُ﴾.

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ : ﴿مَنْ أَسْرَجَ فِيْ مَسْجِدٍ سِرَاجًا لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ وَحَمَلَةُ الْعَرْشِ تَسْتَغْفِرُ لَهُ مَا دَامَ فِيْ ذٰلِكَ الْمَسْجِدِ ضَوْءُهُ﴾.

النَّظَافَةُ

اعْلَمْ أَنَّ نَظَافَةَ الْبَدَنِ وَالثَّوْبِ وَالْمَكانِ مَطْلُوْبَةٌ شَرْعًا فَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ تَنْظِيْفُ بَدَنِهِ مُتَعَهِّدًا شَعْرَ رَأْسِهِ بِالتَّسْرِيْجِ وَالدُّهْنِ[1] ، وَأُذُنَيْهِ بِالغَسْلِ وَالْمَسْحِ ، وَفَاهُ بِالْمَضْمَضَةِ وَالسِّوَاكِ ، وَأَنْفَهُ بِالْاسْتِنْشَاقِ وَالْاسْتِنْثَارِ ، وَأَظَافِرَهُ بِغَسْلِ مَا تَحْتَهُ ، وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَّهِنُ رَأْسَهُ وَيُسَرِّحُ شَعْرَهُ.

وَيَنْبَغِيْ لَهُ أَيْضًا تَنْظِيْفُ ثَوْبِهِ بِالْمَاءِ وَحْدَهُ أَوْ مَعَ الصَّابُوْنِ إِنِ احْتَاجَ إِلَى ذٰلِكَ.

---

[1] لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : ﴿من كان له شعر فليكرمه أي فليزيّنه ولينظّفه بالغسل والتدهين والترجيل ولا يتركه متفرقا فإن النظافة وحسن المنظر محبوب﴾

وَكَذٰلِكَ يَنْبَغِيْ لَهُ تَنْظِيْفُ مَكَانِهِ ، وَذٰلِكَ لِمَا فِي التَّظَافَةِ مِنْ حِفْظِ الصِّحَّةِ ، وَذَهَابِ الْهُمُوْمِ ، وَإِقْبَالِ السُّرُوْرِ[١] ، وَرِضَا الْعَشِيْرِ ، وَإِظْهَارِ نِعْمَةِ اللهِ تَعَالى ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (الضحى : ١١).

الصِّدْقُ وَالْكَذِبُ

الصِّدْقُ : هُوَ الْإِخْبَارُ بِمَا يُطَابِقُ الْوَاقِعَ. وَالْكَذِبُ : هُوَ الْإِخْبَارُ بِمَا لَا يُطَابِقُهُ.

وَأَسْبَابُهُ الصِّدْقِ : العَقْلُ وَالدِّيْنُ وَالْمُرُوْءَةُ ، لِأَنَّ الْعَقْلَ يُدْرِكُ مَنْفَعَةَ الصِّدْقِ وَمَضَرَّةَ الْكَذِبِ ، فَلَا يَرْضَى صَاحِبُهُ لِنَفْسِهِ الْمَضَرَّةَ فَيَلْتَزِمُ الصِّدْقَ ، وَلِأَنَّ الدِّيْنَ يَأْمُرُ بِالصِّدْقِ وَيَنْهَى عَنْ ضِدِّهِ وَكَذٰلِكَ

[١] قال الإمام الشافعي رحمه الله : ﴿من نظف ثوبه قلّ همُّه ومن طاب ريحه زاد عقله﴾

صَاحِبُ الْمُرُوْءَةِ لَا يَرْضَى لِنَفْسِهِ إِلَّا الصِّدْقَ لِأَنَّهُ يَطْلُبُ التَّحَلِّيَ بِجَمِيْلِ الْخِصَالِ وَلَا جَمَالَ فِي الْكَذِبِ.

وَسَبَبُ الْكَذِبِ : إِرَادَةُ جَلْبِ النَّفْعِ وَإِرَادَةُ دَفْعِ الضَّرَرِ ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَرَى فِي الْكَذِبِ السَّلَامَةَ الْعَاجِلَةَ فَيَأْتِيْهِ ، وَيَرَى فِي الصِّدْقِ ضِدَّهَا فَلَا يَأْتِيْهِ.

وَضَرَرُ الْكَذِبِ يَعُوْدُ إِلَى صَاحِبِهِ فَيُحْتَقَرُ وَتَضِيْعُ الثِّقَةُ بِهِ ، وَيُسْتَرْذَلُ فِي الدُّنْيَا ، وَيُعَاقَبُ فِي الآخِرَةِ[1] وَيَعُوْدُ إِلَى غَيْرِ صَاحِبِهِ لِأَنَّ الْكَذَّابَ يَعِدُ غَيْرَهُ خَيْرًا ثُمَّ يُخْلِفُهُ فَتَنْكَسِرُ نَفْسُهُ لِخَيْبَةِ رَجَائِهِ ، وَلِأَنَّهُ يَسْتَسْهِلُ الْغِيْبَةَ وَالنَّمِيْمَةَ فَيَبْعَثُ النَّاسَ بِسَبَبِ ذٰلِكَ عَلَى التَّبَاغُضِ والتَّخَاصُمِ.

---

[1] أخرج ابن حبان عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿عليكم بالصدق فإنه مع البر وهما في الجنة ، وإياكم والكذب فإنه مع الفجور وهما في النار﴾

وَكَفَى الْكَذِبَ مَذَمَّةً قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِيْ الْكَذِبَ الَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ بِآيَاتِ اللهِ﴾ (النحل : ١٠٥) ، وَقَوْلُهُ ﷺ : ﴿إِذَا كَذَبَ الْعَبْدُ كَذْبَةً تَبَاعَدَ عَنْهُ الْمَلَكُ مِيْلًا مِنْ نَتْنِ مَا جَاءَ بِهِ﴾.

وَكَفَى الصِدْقَ ثَنَاءً قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿يَآ أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا اتَّقُوْا اللهَ وَكُوْنُوْا مَعَ الصَّادِقِيْنَ﴾ (التوبة : ١١٩) ، وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ : ﴿تَحَرَّوْا الصِّدْقَ وَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنَّ فِيْهِ الْهَلَكَةَ فَإِنَّ فِيْهِ النَّجَاةَ﴾.

الأَمَانَةُ

هِيَ الْقِيَامُ بِحُقُوْقِ اللهِ تَعَالَى وَحُقُوْقِ عِبَادِهِ ، فَبِهَا يَكْمُلُ الدِّيْنُ وَتُصَانُ الْأَعْرَاضُ[١] وَتُحْفَظُ الْأَمْوَالُ لِأَنَّ الْقِيَامَ بِحُقُوْقِ اللهِ عِبَارَةٌ : عَنْ فِعْلِ الْمَأْمُوْرَاتِ وَاجْتِنَابِ الْمَنْهِيَّاتِ ، وَالْقِيَامَ بِحُقُوْقِ عِبَادِهِ عِبَارَةٌ : عَنْ

[١] هي ما يُمدَح ويُذمّ من الإنسان

رَدِّ الْوَدَائِعِ ، وَتَرْكِ التَّطْفِيْفِ فِيْ كَيْلٍ أَوْ وَزْنٍ أَوْ ذَرْعٍ ، وَتَرْكِ إِفْشَاءِ الْأَسْرَارِ وَالْعُيُوْبِ[1] ، وَأَنْ يَخْتَارَ لِنَفْسِهِ مَا هُوَ أَصْلَحُ لَهَا فِيْ الدِّيْنِ وَالدُّنْيَا.

قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوْا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ (النساء : ٥٨) ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ﴿لَا إِيْمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ وَلَا دِيْنَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ﴾.

وَضِدُّ الْأَمَانَةِ : الْخِيَانَةُ ، وَهِيَ : مُخَالَفَةُ الْحَقِّ بِنَقْضِ الْعَهْدِ فِيْ السِّرِّ. وَمَضَارُّهَا كَثِيْرَةٌ ، مِنْهَا : أَنْ يُوْصَفَ صَاحِبُهَا بِالْغَدْرِ ، وَنَقْصِ الدِّيْنِ ، وَانْحِطَاطِ الْهِمَّةِ ، وَدَنَاءَةِ النَّفْسِ ، وَمِنْهَا : إِعْرَاضُ النَّاسِ عَنْهُ لِإِسَاءَتِهِ إِلَيْهِمْ ، وَقَطْعُ يَدِهِ إِذَا سَرَقَ مِنْهُمْ ، وَبُغْضُ اللهِ لَهُ ، وَتَعْذِيْبُهُ إِيَّاهُ لِأَنَّهُ لَمْ يُرَاعِ مَا كَلَّفَهُ بِهِ.

---

[1] كان علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يقول : ﴿سرُّك أسيرك فإذا تكلمت به صرتَ أسيره﴾

قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿يَآ أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لَا تَخُوْنُوْا اللهَ وَالرَّسُوْلَ وَتَخُوْنُوْا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ﴾ (الأنفال : ٢٧).

الْعِفَّةُ

هِيَ صِفَةٌ لِلنَّفْسِ تَكُفُّهَا عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ وَرَذَائِلِ الشَّهَوَاتِ ، وَهِيَ مِنْ أَشْرَفِ الْخِصَالِ وَأَسْمَاهَا[١] ، وَعَلَيْهَا يَتَفَرَّعُ كَثِيْرٌ مِنَ الْفَضَائِلِ : كَالصَّبْرِ وَالْقَنَاعَةِ[٢] وَالسَّخَاءِ وَالْمُسَالَمَةِ[٣] وَالْوَرَعِ[٤] وَالْوَقَارِ وَالرَّحْمَةِ وَالْحَيَاءِ ، فَهِيَ كَنْزُ مَنْ لَا مَالَ مَعَهُ وَتَاجُ مَنْ لَا شَرَفَ لَهُ.

---

[١] جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال : ﴿عُرض عليّ أول ثلاثة يدخلون الجنة شهيد وعفيف متعفف وعبد أحسن عبادة الله ونصح لمواليه﴾

[٢] قال السيوطي : ﴿القناعة هي الرضا بما دون الكفاية وترك التشوّف إلى المفقود والاستغناء بالموجود﴾

[٣] أي المصالحة

[٤] هو اجتناب الشبهات خوفا من الوقوع في المحرمات

وَسَبَبُهَا : انْقِطَاعُ الطَّمَعِ ، وَتَرْكُ الْحِرْصِ عَلَى كَسْبِ الْمَالِ ، وَالْقَنَاعَةُ بِمَا تَدْعُوْ إِلَيْهِ الضَّرُوْرَةُ .

قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ (البقرة : ٢٧٣) ، وَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ : ﴿طُوْبَى لِمَنْ هُدِيَ لِلْإِسْلَامِ وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافًا وَقَنِعَ بِهِ[1]﴾.

الْمُرُوْءَةُ

هِيَ صِفَةٌ تَدْعُوْ إِلَى التَّمَسُّكِ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنِ الْعَادَاتِ.

وَسَبَبُهَا : عُلُوُّ الْهِمَّةِ ، وَشَرَفُ النَّفْسِ فَإِنَّ مَنْ كَانَ عَلِيَّ الْهِمَّةِ شَرِيْفَ النَّفْسِ كَانَتْ غَايَتُهُ إِحْرَازَ الْمَعَالِيْ وَإِدْرَاكَ الْفَضَائِلِ وَابْتِنَاءَ الْمَكَارِمِ وَبَذْلَ النَّدَى وَكَفَّ الْأَذَى.

---

[1] هو القدر الكافي فلا زيادة فيه ولا نقصان

وَهِيَ عُنْوَانُ الْعِفَّةِ وَالنَّزَاهَةِ وَالصِّيَانَةِ ، وَلِذٰلِكَ لَا يُرَى صَاحِبُ الْمُرُوْءَةِ إِلَّا تَقِيًّا بَعِيْدًا عَنِ الْمَطَامِعِ رَاضِيًا بِمَا قَسَمَهُ اللهُ لَهُ غَيْرَ نَاظِرٍ إِلَى مَا فِيْ أَيْدِيْ النَّاسِ[1].

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى مَدْحِ الْمُرُوْءَةِ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ : ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُوْرِ وَأَشْرَفَهَا﴾.

الْحِلْمُ

هُوَ صِفَةٌ تَحْمِلُ صَاحِبَهَا عَلَى تَرْكِ الْانْتِقَامِ مِمَّنْ أَغْضَبَهُ مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى ذٰلِكَ[2].

---

[1] عن سهل بن سعد الساعدي قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله دلني على عمل إذا عملتُه أحبني الله وأحبني الناس فقال : ﴿ازهد في الدنيا يحبَّك الله وازهد فيما عند الناس يحبَّك الناس﴾

[2] وقيل هو ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب

وَسَبَبُهَا : رَحْمَةُ الْجُهَّالِ ، أَوِ التَّرَفُّعُ[1] عَنِ الْمُشَاتَمَةِ ، أَوِ الْاسْتِحْيَاءُ مِنْ جَزَاءِ الْجَوابِ ، أَوِ التَّفَضُّلُ عَلَى الْمُسِيْءِ ، أَوْ رِعَايَةُ نِعْمَةٍ سَابِقَةٍ ، أَوِ الْمَكْرُ وَتَوَقُّعُ الْفُرَصِ ، وَذٰلِكَ لِأَنَّ التَّرَفُّعَ عَنِ الْمُشَاتَمَةِ مِنْ شَرَفِ النَّفْسِ وَعُلُوِّ الْهِمَّةِ. وَالْاسْتِحْيَاءُ مِنْ صِيَانَةِ النَّفْسِ وَكَمَالِ الْمُرُوْءَةِ ، وَرِعَايَةُ النِّعْمَةِ السَّابِقَةِ مِنَ الْوَفَاءِ ، وَالْمَكْرُ وَتَوَقُّعُ الْفُرَصِ مِنَ الدَّهَاءِ[2] ، لِأَنَّ مَنْ ظَهَرَ غَضَبُهُ قَلَّ كَيْدُهُ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الثَّنَاءِ عَلَى أَهْلِ الْحِلْمِ : ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْحَيِيَ الْحَلِيْمَ وَيَبْغَضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيْءَ﴾.

[1] أي البعد

[2] أي ذكاء أو جودة الرأي

السَّخَاءُ

هُوَ بَذْلُ الْمَالِ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ وَلَا اسْتِحْقَاقٍ. وَهُوَ فَضِيْلَةٌ[1] مُسْتَحْسَنَةٌ وَخَصْلَةٌ مَحْمُوْدَةٌ لِمَا فِيْهِ مِنِ ارْتِبَاطِ الْقُلُوْبِ وَاجْتِمَاعِهَا[2] ، فَيَعْظُمُ الْانْتِفَاعُ وَيَعُمُّ الْارْتِفَاقُ ، فَقَدْ كَانَ ﷺ يُعْطِيْ عَطَاءً مَنْ لَا يَخْشَى الفَقْرَ ، وَفِي الْحَدِيْثِ قَالَ جِبْرِيْلُ : قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿هٰذَا دِيْنٌ ارْتَضَيْتُهُ لِنَفْسِيْ لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا السَّخَاءُ وَحُسْنُ الْخُلُقِ فَأَكْرِمُوْهُ بِهِمَا مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾.

---

[1] أي الدرجة الرفيعة في حسن الخلق

[2] فهذا السخاء يأسر القلوب ، عن صفوان بن أُميّة قال : ﴿أعطاني رسول الله ﷺ يومَ حُنينٍ وإنه لَأبغضُ الخلق إليّ فما زال يعطيني حتى إنه لَأحبّ الخلق إليّ﴾ ، وقال الحسن : ﴿من بذل درهمه أحبَّه الناس طوعا وكرها﴾

التَّوَاضُعُ[١]

هُو خَفْضُ الْجَنَاحِ وَإِلَانَةُ الْجَانِبِ[٢] مِنْ غَيْرِ خِسَّةٍ وَلَا مَذَلَّةٍ. وَالْمَقْصُوْدُ مِنْهُ إِعْطَاءُ كُلِّ ذِيْ حَقٍّ حَقَّهُ فَلَا يَرْفَعُ وَضِيْعًا عَنْ دَرَجَتِهِ ، وَلَا يُنْزِلُ شَرِيْفًا عَنْ مَقَامِهِ ، وَهُوَ مِنْ أَسْبَابِ الرِّفْعَةِ وَدَوَاعِي الشَّرَفِ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ﴿مَنْ تَوَاضَعَ لِلّٰهِ رَفَعَهُ﴾.

عِزَّةُ النَّفْسِ[٣]

هِيَ صِفَةٌ بِهَا يَجْعَلُ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ فِيْ مَنَازِلِ الرِّفْعَةِ وَالْاحْتِرَامِ. وَسَبَبُهَا : مَعْرِفَةُ الْإِنْسَانِ قَدْرَ نَفْسِهِ.

---

[١] قيل هو ترك الترؤس وإظهار الخمول وكراهية التعظيم والزيادة في الإكرام وأن يتجنّب الإنسان المباهاة بما فيه من الفضائل والمفاخرة بالجاه والمال ، وأن يتحرّز مِن الإعجاب والكِبر

[٢] أي سهل المعاشرة

[٣] قيل هي أن لا يضع الإنسان نفسه في موقف ذليل أو بمكانة لا تليق به

وَثَمْرَتُهَا : التَّحَمُّلُ وَالصَّبْرُ[١] عَلَى مَكَارِهِ الدَّهْرِ[٢] ، وَتَرْكُ إِظْهَارِ الْاحْتِيَاجِ ، وَتَعْظِيْمُ النَّاسِ لَهُ[٣] ، وَإِحْسَانُ اللهِ إِلَيْهِ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿وَلِلّٰهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُوْلِهِ وَلِلْمُؤْمِنِيْنَ﴾ (المنافقون : ٨)، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ﴿رَحِمَ اللهُ امْرَأً عَرَفَ قَدْرَ نَفْسِهِ﴾.

[١] عطف التفسير

[٢] وقال سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : ﴿اصبر قليلا فبعد العسر تيسير وكل وقت له أمر وتدبير وللمهيمن في حالاتنا نظر وفوق تدبيرنا لله تدبير﴾

[٣] وينبغي للعاقل عزيز النفس أن يجنب نفسه المواقع التي تسبب الذلة والإهانة والسخرية والاستهزاء به لأن الناس تعوّدت على احترام من يحترم نفسه وتحقير من لا يحترم نفسه

الْحِقْدُ[١]

هُوَ إِضْمَارُ السُّوْءِ وَالْحِرْصُ عَلَى الْإِيْذَاءِ.

وَسَبَبُهُ : الْغَضَبُ[٢] ، وَيَتْبَعُهُ ثَمَانُ خِصَالٍ مُحَرَّمَةٍ ، وَهِيَ حَسَدُ الْمَحْقُوْدِ عَلَيْهِ ، وَالشَّمَاتَةُ بِمُصِيْبَتِهِ[٣] ، وَهَجْرُهُ وَإِنْ تَوَدَّدَهُ ، وَالْإِعْرَاضُ عَنْهُ اسْتِصْغَارًا لَهُ ، وَالتَّكَلُّمُ فِيْهِ بِالْفُحْشِ كَاغْتِيَابِهِ وَإِفْشَاءِ سِرِّهِ ، وَمُحَاكَاتُهُ اسْتِهْزَاءً بِهِ ، وَإِيْذَاءُهُ بِمَا يُؤْلِمُ بَدَنَهُ ، وَمَنْعُهُ حَقَّهُ كَأَنْ لَا يَقْضِيَهُ دَيْنَهُ.

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَمِّ الْحِقْدِ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ : ﴿الْمُؤْمِنُ لَيْسَ بِحَقُوْدٍ﴾.

---

[١] معنى الحقد لغة الضغن وهو إمساك العداوة في القلب والتربص لفرصتها. وقال الجرجاني : ﴿هو سوء الظن في القلب على الخلائق لأجل العداوة﴾

[٢] قال رسول الله ﷺ : ﴿إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع﴾

[٣] هي أن يسُرّ المرء بما يصيب عدوَّه من المصائب قال الله تعالى عن نبيه موسى عليه السلام : ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ﴾ (الأعراف : ١٥٠)

الْحَسَدُ

هُوَ تَمَنِّي زَوَالِ النِّعْمَةِ عَنْ الْغَيْرِ، وَأَمَّا تَمَنِّي مِثْلِ مَا لِلْغَيْرِ فَيُسَمَّى غِبْطَةً ، وَلَيْسَتْ بِمَذْمُوْمَةٍ بَلْ هِيَ مَطْلُوْبَةٌ ، لِأَنَّهَا سَبَبٌ لِاكْتِسَابِ الْخِصَالِ الْحَمِيْدَةِ ، وَلِذَا قَالَ ﷺ : ﴿الْمُؤْمِنُ يَغْبِطُ وَالْمُنَافِقُ يَحْسُدُ﴾.

وَأَسْبَابُ الْحَسَدِ ثَلَاثَةٌ :

الْأَوَّلُ : بُغْضُ الْمَحْسُوْدِ لِفَضِيْلَةٍ ظَهَرَتْ مِنْهُ أَوْ نِعْمَةٍ سَاقَهَا اللهُ إِلَيْهِ

الثَّانِي : تَفَوُّقُ الْمَحْسُوْدِ فِي الْفَضْلِ ، بِحَيْثُ يَعْجِزُ الْحَاسِدُ عَنِ الْوُصُوْلِ إِلَيْهِ

الثَّالِثُ : شُحُّ الْحَاسِدِ بِالْفَضَائِلِ فَيَحْسُدُ كُلَّ مَنْ نَالَهُ خَيْرٌ

وَالَّذِي يُذْهِبُ الْحَسَدَ مِنَ الْقُلُوْبِ : التَّمَسُّكُ بِالدِّيْنِ وَمُلَاحَظَةُ مَا فِي الْحَسَدِ مِنَ الضَّرَرِ، وَالرِّضَا بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ.

وَمِمَّا وَرَدَ فِيْ ذَمِّ الْحَسَدِ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ : ﴿الْحَسَدُ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ﴾.

الْغِيْبَةُ[1]

هِيَ ذِكْرُ أَخِيْكَ بِمَا يَكْرَهُ وَلَوْ فِيْ وَجْهِهِ ، كَقَوْلِكَ فُلَانٌ أَعْرَجُ ، أَوْ فَاسِقٌ ، أَوْ فَقِيْرٌ ، أَوْ قَصِيْرُ الثِّيَابِ تُرِيْدُ بِذٰلِكَ تَنْقِيْصَهُ.

[1] وقال زين الدين المناوي : ﴿هي ذكر العيب بظهر الغيب بلفظ أو إشارة أو محاكاة﴾

وَأَسْبَابُهَا ثَمَانِيَةٌ : الْحَسَدُ ، وَشِفَاءُ الْغَيْظِ ، وَإِرَادَةُ التَرَفُّعِ ، وَالْمُبَادَرَةُ إِلَى تَعْطِيْلِ[١] الْمُؤْذِيْ عَنِ الْوُصُوْلِ إِلَى مُرَادِهِ ، وَالْقَصْدُ إِلَى تَبْرِئَةِ النَّفْسِ ، وَمُجَامَلَةُ[٢] الرُّفَقَاءِ ، وَالْهَزْلُ ، وَالْاسْتِهْزَاءُ[٣].

وَلَيْسَ مِنَ الْغِيْبَةِ لَوْمُ الْمُقَصِّرِ عَلَى تَقْصِيْرِهِ ، وَإِرْشَادُهُ إِلَى مَا فِيْهِ مَصْلَحَتُهُ ، لِأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَنْهَ عَنِ النَّصِيْحَةِ وَلٰكِنَّهُ نَهَى عَنِ الغِيْبَةِ[٤] وَبَالَغَ فِيْ الْإِنْكَارِ عَلَيْهَا فَقَالَ : ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيْهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوْهُ﴾ (الحجرات : ١٢).

---

[١] أي بطلان

[٢] أي مداهنة

[٣] أي السخرية وهو حمل الأقوال والأفعال على الهزل واللعب لا على الجد والحقيقة

[٤] فيجوز للمسلم أن يقول فلان يفعل كذا وكذا من المنكر حتى يزدجر ويرجع عما يفعله لكن يشترط أن يكون القصد هو تغيير المنكر لا التشهير بالعاصي

النَّمِيْمَةُ

هِيَ نَقْلُ أَقْوَالِ النَّاسِ أَوْ أَعْمَالِهِمْ أَوْ أَحْوَالِهِمْ إِلَى الْغَيْرِ عَلَى وَجْهِ الإِفْسَادِ. وَالْبَاعِثُ عَلَيْهَا إِمَّا إِرَادَةُ السُّوْءِ بِالْمَنْقُوْلِ عَنْهُ[١] ، أَوْ إِظْهَارُ الْحُبِّ لِلْمَنْقُوْلِ إِلَيْهِ[٢] ، أَوِ التَّفْرِيْحُ فِي الْحَدِيْثِ ، أَوِ الْخَوْضُ فِي الْفُضُوْلِ[٣].

وَالَّذِيْ يَكُفُّ الْإِنْسَانَ عَنِ النَّمِيْمَةِ : عِلْمُهُ بِأَنَّهَا تَدْعُوْ إِلَى التَّقَاطُعِ وَإِيْقَادِ نَارِ الْعَدَاوَةِ وَاسْتِحْقَاقِ الْعِقَابِ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ﴿إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَى اللهِ الَّذِيْنَ يَأْلَفُوْنَ وَيُؤْلَفُوْنَ وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَى اللهِ الْمَشَّاؤُوْنَ بِالنَّمِيْمَةِ الْمُفَرِّقُوْنَ بَيْنَ الْإِخْوَانِ﴾ ، وَقَالَ ﷺ : ﴿لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ﴾.

---

[١] أي للمحكي عنه

[٢] أي للمحكي له

[٣] ولا ريب في أن التكلم بما لا يعني وبالفضول مذموم وإن لم يكن فيه إثم

الْكِبْرُ[1]

هُوَ اسْتِعْظَامُ النَّفْسِ وَرُؤْيَةُ قَدْرِهَا فَوْقَ قَدْرِ الْغَيْرِ.

وَمَفَاسِدُهُ كَثِيْرَةٌ ، مِنْهَا : أَنَّهُ يُؤْذِيْ الْغَيْرَ ، وَيَقْطَعُ حِبَالَ الْمَوَدَّةِ ، وَيُفَرِّقُ الْقُلُوْبَ ، وَيَحْمِلُ النَّاسَ عَلَى بُغْضِ صَاحِبِهِ وَاتِّفَاقِهِمْ عَلَى أَذَاهُ ، وَمِنْهَا : أَنَّ صَاحِبَهُ لَا يَنْقَادُ إِلَى الْحَقِّ ، وَلَا يَكْظُمُ الْغَيْظَ ، وَلَا يَتَلَطَّفُ فِي النُّصْحِ.

وَكَفَى الْكِبْرَ مَذَمَّةً قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ : ﴿لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِيْ قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الْكِبْرِ[2]﴾.

---

[1] وقال الزبيدي : ﴿الكبر حالة يتخصص بها الإنسان من إعجابه بنفسه وأن يرى نفسه أكبر من غيره﴾ ، ويقول الإمام الغزالي : ﴿إن منشأ الكبر هو استحقار الغير وازدراؤه واستصغاره﴾

[2] فقال رجل : ﴿إن الرجل يحبّ أن يكون ثوبه حسنا ونعلُه حسنة ؟﴾ قال ﷺ : ﴿إن الله جميل يحبّ الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس﴾

وَمَنْ عَرَفَ أَنَّهُ مَخْلُوْقٌ مِنْ نُطْفَةٍ وَأَنَّهُ صَائِرٌ إِلَى جِيْفَةٍ هَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَتْرُكَ الْكِبْرَ الَّذِيْ سَبَبُهُ الْعُجْبُ[1].

الغُرُوْرُ

هُوَ سُكُوْنُ النَّفْسِ إِلَى مَا يُوَافِقُ الْهَوَى وَيَمِيْلُ إِلَيْهِ الطَّبْعُ بِسَبَبِ شُبْهَةٍ شَيْطَانِيَّةٍ ، وَهُوَ نَوْعَانِ :

الْأَوَّلُ : غُرُوْرُ أَهْلِ الْكُفْرِ الَّذِيْنَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ سَكَنَ إِلَى الدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا وَأَنْكَرَ الْبَعْثَ ، وَمِنْهُمْ مَنِ اغْتَرَّ بِسِيَادَتِهِ فِي الدُّنْيَا ، فَظَنَّ أَنَّهُ عَلَى فَرْضِ الْمَعَادِ[2] وَالرَّحْمَةِ يَكُوْنُ أَوْلَى بِهِمَا.

---

[1] وذكر أبو حامد الغزالي : ﴿هو استعظام النعمة والركون إليها مع نسيان إضافتها إلى المنعم﴾

[2] أي السهم في الحياة الآخرة

الثَّانِي : غُرُوْرُ الْعُصَاةِ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ ، فَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَعْمَلْ اغْتِرَارًا بِسَعَةِ عَفْوِ اللهِ تَعَالَى ، أَوِ اعْتِمَادًا عَلَى طَاعَةِ الآبَاءِ ، أَوْ عَلَى كَثْرَةِ الْعِلْمِ ، وَلَمْ يَدْرِ الْأَوَّلُ أَنَّ الرَّغْبَةَ فِي الشَّيْءِ مِنْ غَيْرِ أَخْذٍ فِيْ أَسْبَابِهِ طَمَعٌ مَذْمُوْمٌ[1] ، وَلَمْ يَذْكُرِ الثَّانِيْ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِيْ وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُوْدٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ (لقمان : ٣٣) وَلَمْ يَتَنَبَّهِ الثَّالِثُ إِلَى أَنَّ الْعِلْمَ بِلَا عَمَلٍ كَالشَّجَرِ بِلَا ثَمَرٍ[2] ، وَمِنْهُمْ مَنِ اغْتَرَّ بِكَثْرَةِ عِبَادَتِهِ ، فَظَنَّ أَنَّهُ أَحَقُّ بِالْعَفْوِ مِنْ غَيْرِهِ ، وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ هَذَا مُذْهِبٌ لِإِخْلَاصِهِ ، مُفَوِّتٌ

---

[1] قال الحسن البصري رحمه الله : ﴿طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب﴾

[2] وقال أبو عبد الله : ﴿العلم موقوف على العمل والعمل موقوف على الإخلاص والإخلاص لله يورث الفهم عن الله عز وجل﴾ ، وقال يوسف : ﴿بالأدب تَفهم العلم وبالعلم يصحّ لك العمل وبالعمل تَنال الحكمة وبالحكمة تَفهم الزهد وتوفَّق له وبالزهد تترُك الدنيا وبترك الدنيا تَرغب في الآخرة وبالرغبة في الآخرة تَنال رضا الله عز وجل﴾

لِثَوَابِ أَعْمَالِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ غَرَّتْهُ كَثْرَةُ الْمَالِ ، فَظَنَّ أَنَّهُ بِذٰلِكَ يَفُوْقُ غَيْرَهُ ، فَمَالَ إِلَى زُخْرُفِ الدُّنْيَا ، وَنَسِيَ فَضْلَ اللهِ عَلَيْهِ.

وَمِنْ مَعَايِبِ الْغُرُوْرِ أَنَّهُ يُوْلِدُ الْكِبْرَ الَّذِي سَبَقَ أَنَّهُ يَمْنَعُ صَاحِبَهُ دُخُوْلَ الْجَنَّةِ.

الظُّلْمُ

هُوَ الْخُرُوْجُ عَنْ حَدِّ الْاعْتِدَالِ بِالتَّقْصِيْرِ أَوْ تَجَاوُزُ الْحَدِّ فَيَشْمُلُ جَمِيْعَ الْمَعَاصِيْ[١] وَيَعُمُّ أَنْوَاعَ الرَّذَائِلِ[٢]. وَصَاحِبُهُ إِمَّا ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ، أَوْ ظَالِمٌ لِغَيْرِهِ.

---

[١] هي ترك المأمورات وفعل المحظورات أو ترك ما أوجب اللهُ ورسوله وارتكاب ما نهى الله عنه أو رسوله من الأقوال والأعمال الظاهرة أو الباطنة. والمعاصي تنقسم إلى قسمين : كبائر هي كل معصيةٍ دل الدليل على توكيد التحريم وتغليظه سواء تُوعِّد عليها بلعن أو غضب أو نار أو عذاب أو حد أو غير ذلك ، وصغائر هي ما نهى عنه الشرع ولم يقترن به وعيد أو لعن أو غير ذلك

[٢] هي هيئة نفسانية تصدر عنها الأفعال القبيحة في سهولة ويسْرٍ ، أصولها ثمانية : السفه والبله والتهور والجبن والشره والخمود والجور والمهانة

فَظُلْمُ النَّفْسِ : عِبَارَةٌ عَنِ التَّقْصِيْرِ فِيْ طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى ، أَوْ تَرْكِ الْإِيْمَانِ.

وَظُلْمُ الْغَيْرِ : عِبَارَةٌ عَنِ التَّفْرِيْطِ فِيْ حَقِّهِ كَإِيْذَاءِ الْجَارِ ، وَإِهَانَةِ الضَّيْفِ ، وَافْتِرَاءِ الْكَذِبِ ، وَالْغِيْبَةِ ، وَالنَّمِيْمَةِ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ﴿الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ، وَفِي الْحَدِيْثِ الْقُدْسِيِّ : ﴿يَا عِبَادِيْ إِنِّيْ حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِيْ وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوْا﴾.

الْعَدْلُ[١]

هُوَ التَّوَسُّطُ[٢] فِي الْأُمُوْرِ وَالسَّيْرُ فِيْهَا عَلَى وِفْقِ الشَّرِيْعَةِ ، وَهُوَ نَوْعَانِ :

الْأَوَّلُ : عَدْلُ الْإِنْسَانِ فِيْ نَفْسِهِ ، وَهُوَ أَنْ يَسْلُكَ سَبِيْلَ الْاسْتِقَامَةِ.

الثَّانِيْ : عَدْلُهُ مَعَ غَيْرِهِ ، وَهُوَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ :

١. عَدْلُ السُّلْطَانِ فِيْ رَعِيَّتِهِ بِاتِّبَاعِ الْمَيْسُوْرِ وَإِعْطَاءِ كُلِّ ذِيْ حَقٍّ حَقَّهُ[٣].

---

[١] وقال الإمام الجرجاني : ﴿هو عبارة عن الاستقامة على طريق الحق بالاجتناب عما هو محظور دينا﴾

[٢] ومعرفة الوسط في كل شيء واجبة فإن القصد ممدوح والإفراط والتفريط مذمومان ، وقال ﷺ لمن سأله مستشيرا فى الترهيب وصيام الدهر وقيام الليل كله بعد زجره إياه : ﴿إن لنفسك عليك حقا ولزوجك عليك حقا ولزورك عليك حقا فصم وأفطر وقم ونم﴾

[٣] وترك التسلّط بالقوة وابتغاء الحق في السيرة فإن اتّباع الميسور أدوم وحذف المعسور أسلم وترك التسلّط أعطف على المحبّة وابتغاء الحق أبعث على النصرة

٢. عَدْلُ الرَّعِيَّةِ مَعَ السُّلْطَانِ[١] ، وَالتِّلْمِيْذِ مَعَ أُسْتَاذِهِ ، وَالْوَلَدِ مَعَ وَالِدَيْهِ بِإِخْلَاصِ الطَّاعَةِ[٢].

٣. عَدْلُ الْإِنْسَانِ مَعَ أَمْثَالِهِ بِتَرْكِ التَّكَبُّرِ عَلَيْهِمْ ، وَكَفِّ الْأَذَى عَنْهُمْ. قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (النحل : ٩٠). أَمَّا الْعَدْلُ فَقَدْ عَرَفْتَهُ ، وَأَمَّا الْإِحْسَانُ فَهُوَ كَمَا فِي الْحَدِيْثِ : ﴿أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ﴾ ، وَهَذَا كَمَالُ الْإِيْمَانِ وَنِهَايَةُ الْإِذْعَانِ.

[١] بإخلاص الطاعة وبذل النصرة وصدق الولاء

[٢] والإحسان إليهم فيما لا يخالف الشرع

خَاتِمَةٌ

قَالَ مُؤَلِّفُهُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى : قَدْ تَمَّ تَبْيِيْضُ هَذَا الْكِتَابِ عَصْرَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ الْمُبَارَكِ السَّادِسِ وَالْعِشْرِيْنَ مِنْ شَهْرِ جُمَادَى الْأُوْلَى سَنَةَ تِسْعٍ وَثَلَاثِيْنَ وَثَلَثِمِائَةٍ وَأَلْفٍ مِنْ هِجْرَةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى اٰلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ.

يَا طَالِبَ الْأَخْلَاقِ هَاكَ مُؤَلَّفَا ⊙ بُنِيَتْ مَقَاصِدُهُ عَلَى التَّحْرِيْرِ

وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْمَرْءَ لَيْسَ بِمُدْرِكٍ ⊙ مِنْ أَمْرِهِ شَيْئًا بِلَا تَيْسِيْرِ

الفهرس

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
مُقَدِّمَةٌ	١	الأَمَانَةُ	٢٨
التَّقْوَى	٢	الْعِفَّةُ	٣٠
آدَابُ الْمُعَلِّمِ	٤	الْمُرُوْءَةُ	٣١
آدَابُ الْمُتَعَلِّمِ	٥	الْحِلْمُ	٣٢
حُقُوْقُ الْوَالِدَيْنِ	٧	السَّخَاءُ	٣٤
حُقُوْقُ الْقَرَابَةِ	١٠	التَّوَاضُعُ	٣٥
حُقُوْقُ الْجِيْرَانِ	١١	عِزَّةُ النَّفْسِ	٣٥
آدَابُ الْمُعَاشَرَةِ	١٣	الْحِقْدُ	٣٧
الأُلْفَةُ	١٤	الْحَسَدُ	٣٨
الْإِخَاءُ	١٥	الْغِيْبَةُ	٣٩
آدَابُ الْمَجَالِسِ	١٧	النَّمِيْمَةُ	٤١
آدَابُ الْأَكْلِ	١٨	الْكِبْرُ	٤٢
آدَابُ الشُّرْبِ	٢٠	الغُرُوْرُ	٤٣
آدَابُ النَّوْمِ	٢١	الظُّلْمُ	٤٥
آدَابُ الْمَسَاجِدِ	٢٢	الْعَدْلُ	٤٧
النَّظَافَةُ	٢٥	خَاتِمَةٌ	٤٩
الصِّدْقُ وَالْكَذِبُ	٢٦		